

# معركة الاستنزاف



الخميس 2 مارس 2017 10:03 م

## كتب: دكتور جمال عبدالستار

دكتور جمال عبدالستار :

أدى انهيار مقومات الدولة القطرية التي أرست "سايكس بيكو" قواعدها إلى انتفاضة الشعوب، وتساقط الألقعة، واتساع مساحة الوعي

وعلى إثر هذا كان أمام الشعوب أحد مسارين

الأول: أن يتجهوا مباشرة نحو التحرر، فتلتئم جروحهم، وتتنامى قوتهم، وتتعاظم وحدتهم، فينطلقوا لصناعة واقع جديد يفرض نفسه، ويُحدث تغييراً في المعادلة الدولية، ولن أنسى هنا ميدان التحرير في الجمعة التالية لخلع مبارك، حيث كان صوت الثوار يتردد في كل الأنحاء: على القدس رايعين شهداء بالملايين !

وكان شباب دول الجوار الفلسطيني في ذكرى النكبة عقب الثورة مباشرة يهددون بالا نقضاً على الصهاينة، وتحرير الأقصى وفلسطين، وأضحت غزة قبلة للأحرار من كل الأقطار!!

ولكن تم الانقضاض على هذا المسار، فوئدت الثورة قبل نضوجها وتوالت عليها الضربات من كل حذب وصوب، حتى أفقدتها وعيها، وأضحى الناس يتحسسون أنفاسها ويتسائلون: أخرجت روحها، وحانت منيتها، أم مازالت النار تحت الرماد تنتظر اشتعالها ؟

المسار الثاني: صناعة بؤر للاستنزاف، وبالفعل صُنعت للأمة بؤر استنزاف لتضعف قوتهم، وتشتت شملهم، وتطفئ الأمل في نفوسهم

فكان هذا المسار هو خيار المنظومة الدولية، حيث عمدت إلى صنع بؤر استنزاف لتتخلص من تلك الروح الجديدة التي نبتت في الأمة على حين غفلة منهم؛ فانطلقت حرب الاستنزاف، بصناعة الحروب، وحشد أدوات المكر، وإيقاد النار في كل مكان، ليستمر الصراع سنوات عجافاً وهدفهم الكبير يتمثل في تدمير القوى المجاهدة في الأمة، واستهلاكها مالياً وبشرياً ونفسياً، مع تدمير كامل للبنية التحتية للإنسان والبنیان، والتطلعات والأحلام، وتقطيع أواصر المودة بين الشعوب، وتغييب الرواد، ونشر الإلحاد، وهدم الثوابت وصناعة الجهل، وتحجيف منابع الخير في كل مكان

فكانت بؤرة الاستنزاف السوري نموذجاً ناجحاً تحققت فيه كل خطتهم، وأضحت أكبر بؤرة استنزاف في المنطقة، ويكفي أن نعلم أن الأموال التي أنفقت، فيها، والأرواح التي أزهقت، كانت تكفي لتحرير المنطقة كلها وليست سوريا فحسب!!

وكانت بؤرة الاستنزاف الليبية محرقة جديدة، حيث أضرمت نيران حرب داخلية، وقودها ليبي، وأدواتها ليبية، وقاتلها كمقتولها من مكونات الشعب الليبي، كل ذلك لمحو هويتها، وتفتيت وحدتها وإهدار ثروتها .

ثم صُنعت بؤرة أخرى في اليمن، شارك فيها الجميع، وتورط فيه العدو والصديق، وتهافت فيها قيم اليمن السعيد، وأضحت مسخاً يزداد كل يوم شحوباً وانحداراً، ولا يُراد له أن يستقر على حال وإنما هي منظومة استنزاف مستمرة تعرف ماذا تريد .

واعتقد أن العراق قد أنهكه الاستنزاف، فأحاله في سنوات عجاف إلى أثر بعد عين، وعوز بعد غنى، ومقبرة جماعية للشعب وحضارة وأمة!!

وهي نفسها بؤرة الاستنزاف المصرية، التي أهدرت كل مقومات التميز المصري القديم، سواء تلك اللحمة الاجتماعية المتينة، أو تلك المكانة الفكرية السامقة، أو تلك الريادة العلمية المبهرة، أو ذاك الأمان النفسي الذي كان مضرب الأمثال، أو تلك القوة العسكرية التي كان لها في النفوس مكاناً ومقاماً، فماذا بقي في مصر؟! لم ينجح أشباح الاستبداد في شيء، ولن يسمح للشعب أن يتخلص منهم بسهولة، لتستمر معركة الاستنزاف وتفقد الأمة في كل ساعة ما تحتاج إلى شهور لإعادته، حتى يأتي اليوم الذي يخرج فيه الناس ليبحثوا عن احتلال أجنبي يخلصهم، أو حماية دولية تستعبدهم، أو يبحثوا عن وطن آخر يؤيهم !!

ولا تزال حرب الاستنزاف قائمة فهل إلى مرد من سبيل؟

أليس قاتل هذه الأمة وصانع بؤر استنزافها عدو واحد وإن تعددت أسماؤه؟

أليس الاستمرار في معركة الاستنزاف دون إعادة النظر في الوسائل والأساليب والأهداف درب من الجنون؟

أليس في الأمة من يدرك طبيعة الصراع فيغير مساره، ويصنع له ميداناً جديداً؟

أليس هناك في الأمة من الراشدين من يدرك أن العودة إلى العمل الأممي، ووحدة إدارة الصراع قد يفتح باباً من الأمل، ويعيد اكتشاف الطاقات، ويستثمر ماتبقى من إمكانات؟ هل يمكن أن تُنشىء تلك المحنة وعياً جديداً بوجود وحدة الأمة في آمالها وآلامها، وحاضرها ومستقبلها، فتُخرج تلك المحنة من بين الركاب أمة فتية جديدة، في بعث جديد وقيامه جديدة؟

هل يمكن أن تنجح الشعوب فيما فشلت فيه الأنظمة، فتجمع صفوفها، وتستجمع طاقتها، وتبعث في الأمة روحاً جديدة، وفكراً جديداً، ورابطة صادقة، وجيلاً أنضجته المحنة، وصنعت له الأحداث؟

وأخيراً أسأل: هل نحن على أبواب الدخول في التيه الكبير أم نتأهب للخروج من غياهب ظلماته؟ فنتحسس باب الخروج، ونتلمس سبيل العودة، على أضواء النيران المشتعلة في أجسادنا، لنرى بها الأشياء على حقيقتها؟

جميع المقالات المنشورة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي "نافذة مصر"